

باطيل الرديان

وهي الصفحات الاولى من كتاب « توماس باين » :

الموسوم بـ « عصر العقل » . قال :

أؤمن بمساواة الانسان . واعتقد بان الدين الحقيقى هو ما كانت فرائضه
منحصرة فى اتباع العدل ، وتعشق الرحمة ، والعمل فى سبيل اسعاد رفاقنا
الانسانية .

ولئلا يكون من ظن أحد بان ايمانى وعقيدتى تتعديان الى اشياء عديدة غير الذى
ذكرته ، فانى سأجعل هذا البحث اعلانا لرفض ما لا تقره لى هذه العقيدة وبياناً
لأسباب هذا الرفض ، وهى عندى وجيهة :

فانا لا أعتقد بالطقوس التى تعترف بها الكنيسة اليهودية (١) أو الكنيسة
الرومانية الكاثوليكية أو اليونانية الارثوذكسية أو الاسلامية أو البروتستانتية أو
أى كنيسة اتانى خبرها . انما فكرى وحده كنيسة التى آمن بها . بل ان كل المؤسسات
الدينية من يهودية أو مسيحية أو اسلامية أو غير كل هذه لا تظهر لى أكثر من
اختراعات بشرية اختلقت لارهاب الانسانية واستعبادها ، ولا حتمكار
القوة والارباح .

وليس من قصدى بهذا الاعلان ان ادعى ان الحقيقة المطلقة هى ما اعتقده ،
ولا أريد التحكم بمن يذهب غير مذهبي ، فان لكل انسان حقه فى التفكير
كما ان لى حق . ولكن وجوب سعادة الانسان يقضى على الانسان
بان يكون أميناً لتفكيره ، وصادقا فى التعبير عن هواجس نفسه ومكونات
ضميره . فان الاتحاد ليس فى اعتقاده بهذا أو فى عدم اعتقاده

(١) يقصد المؤلف بهذا التعبير مجموعة الرسوم والطقوس والعقائد المبنية عليها الجمعية اليهودية وكذلك

سمى الاسلام بالكنيسة الاسلامية

بذلك ، بل هو في تعمل الاعتقاد بما لا يعتقد في الحقيقة والواقع
 ويستحيل علينا تقدير الضرر الاخلاقي الهائل الذي يولده النفاق في التفكير والاعتقاد
 فالانسان الذي يفسد طهارة تفكيره ويعهد فيه لدرجة ارهاق معتقده في سبيل اشياء
 لا يصدق بصحتها ، يكون حينئذ قد اعد نفسه لقبول اقتراف كل جريمة اخرى .
 وهو حينئذ لا يأنف من ان يتخذ الكهانة تجارة رابحة ، ولا يأنف في سبيل تقوية
 بنيان تجارتها الدينية هذه من الخوض في كل رذيلة . وهل اعطى للاخلاق من هذا ؟
 لقد كان الاتصال الفاسق بين الدولة والكنيسة - من موسوية او مسيحية او محمدية
 الصبغة - قد منع بكل ماله من قدرة وقوة : بانواع العذابات والعقوبات ، اى بحث
 يتناول مذاهبه المؤسسة ومبادئه الاولى ، حتى بات من اليقين في شيء كثير ان تلك
 المواضيع لا تشرح بعدل ووضوح امام الناس ، الا بتغير نظام الدولة الحاكمة ، وحتى
 بات من اليقين في شيء كثير ايضا ان حدوث مثل هذا التغير اقل ما ينتج ثورة
 في انظمة الدين واعتقادات البشر التي تصطبغ بلون القداسة والتأله

إن كل دين قد ثبت دعواه بزعم رسالة خاصة من عند الله الذي اصطفى لها أشخاصا
 معينين فاليهود لهم موساهم والنصارى لهم يسوعهم المسيح ورسولهم وقديسهم والاسلام
 لهم محمدهم كأن السبيل الى الله لم يكن مفتوحا لكل انسان بالسواء بل حتى في الاعتبار
 لالهية والسموية يوجد رفيع ووضع كبير وصغير غنى وفقير مصطفى وغير مصطفى
 وأخيراً جنة وجهنم

وكل من تلك الاديان تريك كتبها التي يسمونها « تنزيلا » ووحيا وطلبه الله -
 فاليهود يقولون إن كلمة الله تختص بهم وحدهم وقد أعطاها الله لموسى وجهها لوجهه
 والمسيحيون يقولون بأن كلمة الله ملكهم دون غيرهم أنهم وحيا وتنزيلا
 والمسلمون يقولون بان كلمة الله عندهم وليست عند سواهم ، وقد جلبها لهم ملك
 سماوى من عند الله . وكل من تلك الاديان تتهم الاخرى بالكفر والخروج
 وتكرها . وانا من جهتي انكرها جميعا !

قد قص احد الناس بعض الاخبار وذهب الى أنه استوحاها من السماء . ولربما

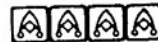
وجد نفسه مجبراً على تصديق وحيه ، ولكن ليس فرضاً على انا ان اصدق ، لان وحيه لم يكن وحيّاً لى . وليس لدى برهان على صدق وحيه سوى ادعائه ان كلامه حق وحقيقة . فموسى حين قال لبنى اسرائيل انه استلم لوحى الوصايا العشر من يدى الله لم يكونوا مجبرين على تصديقه والايمان بما ادعاه ؛ لان الشاهد الوحيد على صدق قوله هو قوله فقط . واما انا فليس لى مصدر يثبت لى صحة كل ذلك الادعاء والاستيحاء والقول سوى مؤرخ أو قصاص اخبرنى ذلك الخبر الذى لم يصدقه الخبر . أما الوصايا نفسها فهى لا تحمل طيها أى دليل ضمنى يشير الى ألوهيتها وجل ما تنطوى عليه هو بعض القواعد الاخلاقية المشكورة التى يسع أى انسان خص بموهبة الشارع ، ان يعطى مثلها واحسن منها ، من دون ان يدعى فى ذلك الاتصال الالهى (١)

وكذلك حين يقال لى ان القرآن كتب فى السماء وجلبه ملك من الخلد لمحمد تكون هذه القصة كالأولى ليس فيها شاهد قيم سوى ادعاء ذلك . ولكننى لم ار الملك بنفسى فلذلك لى الحق بان لا اصدق ما يقال لى

وهذا هو الحال نفسه حين يخبرونى بان سيدة واسمها مريم قالت ، أو شهرت ، بانها حبلى من دون جماع مع رجل ، وحين يخبرونى بان زوجها الموصول بها قريباً . زعم بان أحد الملائكة اكد له ذلك فى الحق الطبيعى بان اصدقهما أولاً اصدقهما . ومثل هذه الحادثة الغريبة تحتاج الى دليل أقوى من دليل القول المبني على القول . وانا لن اصدق مثل هذه الادلة

طرابلس الشام :

سليم خياطة



١ ولكن من الضرورى ان نستثنى من هذا الحكم الوصية الاولى من وصايا موسى التى تقول : « انا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الاباء فى الانباء » لان هذه الآية بر بديهة اللهجة مخالفة لكل رحمة واسكل عدل اخلاق ...